

استطلاع صحفي

## الأندية الأدبية في مصر

مقهى الفيشاوى

(لمنرب الرسالة الأدبية)

أتعرف الحقى اللاتينى يا صاحبي ؟

أقصر الطرف ، وقرب الفكر ، واقتصد فى الخيال ، فلا تذهب

إلى ما وراء البحار إذ تحببه فى باريس مدينة العلم والنور ، وبلد

الطرافة والحسن ، ومبث الفتنة والخروج على الوفاق ...

إلى هنا يا صاحبي ! فى قاهرة المزمزدين الله ، موطن

المجد القديم والمز التالد والتاريخ الحافل ، حيث المسالك

الضيقة والدروب اللتوية والثرفات المتشابكة والسطوح

التواصلية والبناء العتيق العتيق ، الذى أفنى جداره القرون

وما زال تتجلى فيه روعة الفن الشرقى الخالص ، وعبقرية

الدوق المصرى الصحيح ...

إلى هنا يا صاحبي ! حيث الأزهر يمجج بأبنائه من سائر

الأقطار ، ومشهد الحسين يضج بقصاده من جميع الأمصار ،

وخان الخليلى معرض الكهرمان والآبتوس والصدف

والعاج والسجاد الفاخر يتلطف عليه السامعون ومجانين الأثرىة ؛

والقورية سوق المطر والأصباغ والألوان وكل مساحيق التجميل

البلدية والأوربية تتراحم عليها أسراب الفتيات من كل هيفاء هى

منية النفس ، ومن كل شوهاء هى فداء إحسان<sup>(١)</sup> ، ومن كل

(١) هذا من وضع صديقنا المرحوم إبراهيم الجزار لكل قبحة تزين ،

أخذ من قول السيد القاياتى : فداؤك يا إحسان كل ديمة... البيت

وفى عام ١٨٨٧ يموت هذا الرجل العظيم وهو على سفر فى النمسا

فتلقى مصر جثمانه وتمشى خلف نمشه الجوع الهائلة التى لم ترمثلها

البلاد من قبله ، فهذه أول جنازة شعبية فى تاريخها الحديث. هذه

هى السابقة التى سترى مكبرة عظيمة يوم تضيق القاهرة بالنتخبين

من أبناء مصر يشيعون جثمان رئيس الثورة الثانية زعيم الوفد الأول ،

ذلك الذى كانت حياة شريف أيضاً وجهاده القومى سابقة قومية

لحياته وجهاده ... رحم الله العظيمين وجزاهما عن وطنهما خير

ما يجزى به الشهداء والمجاهدون وتم ، الخفيف

عطبول رداح بقدتها صاحبتنا يرم بأبيه وبروحه إذ يقول :

بأبى وروحي اللابسات خلا خلا الآكلات مدمسا وفلا فلا

إلى هنا يا صاحبي ! حيث يمتزج القديم بالحديث ، ومختلط

الطيب بالحديث ، ويتلاصق الوضيع بالرفيع ، ويتساوى الأصيل

بالدخيل ، فتتجلى لك القومية المصرية فى تباين المظاهر واختلاف

الطبقات ، وتبين لك المفارقات فى أذواقنا وسلوكنا ومدنيتنا

إذ ترى عربات سوارس والكارو ما زالت تجر جر وتكر كر

إلى جانب مركبات الترام والآتوبيس والنيات ...

إلى هنا يا صاحبي حيث سوق البقول والأفاويه والتوابل

والأعشاب ، والبن بجميع أصنافه ، والشاى بسائر ألوانه ، واللب

الأستاذ فكرى أباطه فى جمع من إخوانه النواب والصحفيين  
يرشفون أكراب الشاى فى الفيشاوى فى ليلة من رمضان

الحمص ، والحمص المقلب ، والبطاطة المشوية ، والمدس القشرى ،

وما إلى ذلك من الأطعمة الشعبية التى تخالف فى عرضها وفى طهيها

كل شروط الصحة على أنها عند أهلها كل قوام الصحة والمافية ،

فهى لهم ملء البطن ، ومشتهى النفس ، ورغبة العين ...

إلى هنا يا أخى ! حيث درج حمد عبده وسعد زغلول وحزمة

فتح الله والسيد المرصق والسيد القاياتى وإبراهيم الهلباوى ومحمد

أبو شادى ومحمد السباعى وطه حسين وأستاذنا الزيات وزكى مبارك

وغير أولئك ممن أعرف ومن لا أعرف من رجال مصر فى السياسة ،

وأعلامهم فى الرئاسة ، ونهائهم فى الأدب والفضل والصحافة ...

إلى هنا يا أخى ، فذلك هو الحقى اللاتينى كما يسميه الظرفاء من

أهل الأدب ، والنهفاء من أولاد البلد !

فى هذا الحقى الذى رأيت ، وعلى خطوات من مدخل خان الخليلى

الظريف الذى يملأ جيبته بنوادى السابقين واللاحقين ، وفيهم الصحافي الذى يضيئ رأسه بأخبار الملامى والمسرح ونجوم السينما والمسرح فى هوليود وعماد الدين ، وفيهم من يضحج لسانه بالمعجزة ويرتضح بالعامية وكل ما عنده جملة طيبة من أسماء الأدباء فى الشرق والغرب ، وهو يحسب أنه رأس المفكرين ، ولله فى خلقه شؤون . ويجرى ذكر الأدب والأدباء فى حلقات الفيشاوى ، فيذكر

من الكتاب العقاد والمازنى وطه وهيكى والزيات وأحمد أمين وزكى مبارك وكل كاتب فى مصر ، ويذكر شوق وحافظ ومطران وشكرى والزين والهراوى والأسمى وكل شاعر حى أو غير ، ويذكر حافظ عوض وعبد القادر حمزة وأنطون الجميل وصاحب الهلال وإخوانهم فى الصحافة ، ويذكر يوسف وهبى ، وجورج أبيض وسليمان نجيب ، وعزيز عيد ، وفاطمة رشدى ، وزينب صدق ، وأسيئة رزق ، ومن لا أعرف من أهل المسرح ، ولكن كل هؤلاء لا يفوزون من أدباء الفيشاوى إلا باقتسامه ؛ ولست أدرى أى اقتسامه الرضى والإعجاب أو الهزء والاستخفاف . وعلى كل حال فهم يرون أنه لولا معاكسة الأقدار ، وقسوة الحظ لكان أقل شخص فى الفيشاوى أكبر من أى شخص من هؤلاء فى النثر أو فى الشعر أو فى الصحافة أو فى التمثيل ، كل فيما يحاوله ويرغب فيه ، وجبراً لخطأ إخواننا فى الفيشاوى نلن ذلك الشيء المدعو بالحظ ، قاتل النبوغ ، وقابر العبقريات ...

وللفيشاوى « موسم » يتم له فيه المجد ، ويبلغ الغاية من الجلال والكمال ، وذلك فى رمضان إذ تنشأ النفوس الإنابة وحسن الثواب وتطلب السهرات البريئة الطيبة فتستبدل أكوام الشاي بأكوام المتعة ، ومن ثم تجدد فى حلقات الفيشاوى رجال السياسة والأدب والصحافة فى مصر ، فتجد اطفى السيد باشا ، وهيكى باشا ، وحفى محمود ، وعبد الرحيم محمود ، ونيازى باشا ، والصحافى المعجوز ، وفكرى أباطه ، ولبنى جمعة ؛ وكثيراً من النواب وأساتذة الجامعة وشيوخ الأزهر ، كل منهم فى حلقة حافلة ، يشدون أطراف الحديث طلباً للسمر ، واستماعة على السهر ، حتى السحور

ثم يأتى العيد ، فينفض السامر الحافل ، ويعود الوضع إلى مستواه ، ولا يبقى للفيشاوى إلا الذين يكفون عليه من أمثال الشاعر ابراهيم الدباغ والأستاذ عبد العزيز الإسلامبولى صاحب المعرفة ، والشيخ سلطان الجهنى المحرر بالوفد ، والشيخ على عامر المحرر بالدستور ، وصديقنا الشيخ البهى المحرر بالمقطم ، والشاعر

الضيق من جهة الحنين يقع مقهى الفيشاوى المتيد ، فهو فى موضع بعيد عن جلبه السابلة ، وضوضاء المركبات ، فأحر به أن يكون فى غمرة من الهدوء والسكون ، ولكن الله ابتلاه بكثرة الباعة ، وإلحاح ذوى الحاجة ، وصوت النادل الأجنس يرفعه عالياً عالياً فى المناداة على الطلب وشرح المطلوب فيكون له دوى وطنين لا يتحمله إلا الذين تعودوه

ومقهى الفيشاوى فى رواه آية من آيات الفن القديم ، وصورة قوية من الذوق الشرقى الذى يفرق بطبعه فى التجميل ، ويهول فى التزين ، ويحلبه البريق واللعمان ، فيحمل الصورة فوق ما تطيق من التمويه والتوشية ، وكثرة التلايف والتعارج ، وأنت تستطيع أن تحتجلى ذلك كله فى تلك المرايا الضخمة الفخمة التى علفت بمجدران الفيشاوى وتجاه مدخله بالشارع ...

ويهدف إلى الفيشاوى كل أدباء مصر بلا استثناء ، فى فترات قد تمتد وقد تقصر ، ويدمن الجلوس فيه طبقة خاصة من مقاليد الأدب ، وصماليك الصحافة ، وصرعى الآمال فى المشاريع الحرة ، والذين عاكسهم الأقدار فى نيل الشهادات والفوز بوظائف الحكومة ، ومن شطت بهم الدار من الأقطار الشقيقة فى طلب الرزق أو طلب المجد ، يتلف هؤلاء حول موائد « الشاي الفتخر » كل مع من يشاكله ويأنس إليه ، فيفرون فى الحديث عن أنفسهم ، أو يتلهون بالزرد ولب الورق على تدخين النارجيلة ورشف أكوام الخمر الحلال : أكوام الشاي الأخضر والأحمر والأسود والأبيض الذى يتيه الفيشاوى بصنعه على كل مقاهى القاهرة ، وكأنى بأدباء الفيشاوى يجردون فى هذه الأكوام لذة وغناء عن أكوام بنت الحان ...

وكثيراً ما يتطلق أدباء الفيشاوى على طبيعتهم ، فيتشاجرون بالنادرة ، ويتضاربون بالنكتة ، ويفرقون فى المرح إلى أبعد حد ، ويرسلون الضحكات عالية قوية كلها سخيرية بالحياة ، واستهانة بقسوة الدهر ، واستخفاف بسبب الأيام ومطالب العيش ، فهم يضحكون عن فلسفة ونظر ، وكأنهم يقولون : ولماذا يا أخى لا تضحك ، وقد تحملنا من الزهق فوق الطاقة ، ولقينا من الأقدار ما تنوء به عزائم الرجال ؟ فيالها من دنيا لا تستحق إلا الهوان ...

وأدباء الفيشاوى يتباينون فى ثقافتهم ، ويختلفون فى عقليتهم وإن كانوا جميعاً فى نظرهم إلى الحياة سواء ، فتجد فيهم الشيخ الأزهرى الذى يزغى ويذب بالقافات كما يقول حافظ ، وفيهم الأديب